أكاديمية فيض العلم
FaidhUlilm Academy

المؤتمر الدولي الأول
القراءات القرآنية وعلومها
الجزء الثاني



انعقاد المؤتمر

26، 27، 28 أغسطس 2023

مدير أكاديمية فيض العلم
أ. أسماء محمد الأروش

رئيس المؤتمر
د. أمير عادل الديب

المؤتمر الدولي الأول
القراءات القرآنية وعلومها

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الدولي الأول

القراءات القرآنية وعلومها

مدير أكاديمية فيض العلم

أ. أسماء محمد الأروش

رئيس المؤتمر

د. أمير عادل الديب

الطبعة الأولى

٢٠٢٣م – ١٤٤٥هـ

كافة الآراء الواردة في الأبحاث والدراسات المنشورة في كتاب المؤتمر تعِبّر عن وجهات نظر أصحابها فقط، ولا تُعِبّر بالضرورة عن رأي أكاديمية فيض العلم

الناشر: أكاديمية فيض العلم

قراءة الحديث النبوي بالأحرف السبعة

تأليف: عثمان بن علي بندو

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد: نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، محافظا على أفصح لغات العرب وأشهرها، واشتهر من القراءات القرآنية ما كان أقرب إلى لغة النبي صلى الله عليه وسلم، فأول القراءات التي يُبدأ بها تعلّما وتعليما في المشرق الإسلامي رواية حفص عن عاصم، وفي المغرب الإسلامي قراءة نافع برواته الأربعة، ثم يتعلّم الناس ما سواها من القراءات بعد ذلك إفرادا أو جمعا، وإن لم يكن ورش مع من ذكرنا كما سنوضّح إن شاء الله في هذا البحث، لكن المغاربة أخذوا بما اشتهر عن نافع كلّه بطرقه العشرة.

ولا ريب أنّ هذه اللغة العربية الفصيحة التي يخاطب الناس بها بعضهم ويكتبون بها قد توارثوها جيلا بعد جيل، وقد تميّزت بقُربها من القراءات التي ذكرتُ، فدلّ ذلك على أنّها الشائعة المطّردة من لغات العرب ولعلها تكون لغة قريش، ويُحتمل أن يكون فيها بعض الأوجه من الحروف الأخرى من السبعة، والمتأمل لقراءات الباقين يلاحظ مدى تميّزها عن قراءتي نافع وعاصم خاصة في باب الإدغام والإمالة وغيرهما.

وكان حديث النبي صلى الله عليه وسلم من جملة ما تواتر عن هذه الأمة جيلا بعد جيل، ونقْلُه إلينا على هذه الصفة يزيد من قوة افتراضنا أن هذه هي الطريقة والسنة في الكلام والكتابة التي كانت سائدة حينها في الأمة الإسلامية.

وقد استقرّ المتكلمون بالعربية على هذه الطريقة، فلا تجد متحدثا يضمّ ميم الجمع أو يميل أو يغلّظ اللام في غير لفظ الجلالة أو يسهّل همزا أو يحذفه أو يبدله، غير أنني سمعت من شيخي **علي بليلي** كلاما جميلا في هذا الموضوع خلاصته أن أهل الجزائر من حفظة كتاب الله تعالى قد تعوّدوا على لسان رواية ورش لحفظهم القرآن بها وكثرة قراءته، فأثّر ذلك في ألسنتهم إذا خاطبوا بعضها بعضا.

ولهذا أشكل عليّ: **يمكن لهؤلاء وأمثالهم أن يتحدثوا العربية بمثل هذه الأحرف، فهل يمكنهم أن يقرؤوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بها؟**

وقد جاء الوعيد الشديد في تحريف حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهل يُعدّ ذلك من ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال كتبت هذا البحث في مقدمة وأربع مباحث وخاتمة، أسأل الله أن يلهمني الصواب وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المبحث الأول: احتياط الصحابة عند رواية الحديث.

روى الصحابة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مع حذر واحتياط، وذلك أنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "... وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" والهدف من ذلك توجيههم للاشتغال أكثر بالقرآن الكريم.

وقد وردت في التحذير من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، منها:[١]

عن علي رضي الله عنه: قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليّ فليلج النار". وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعمد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت للزبير: "إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أما أني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: "من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار"

وعلى هذا النهج من الحذر والخشية ساروا في عهد الخلفاء الراشدين، وإن كان نُقل عن بعض الصحابة تدوينهم للحديث فاشتهرت "صحيفة سمرة بن جندب والصحيفة الصادقة عبد الله بن عمرو بن العاص وقد اشتملت على ألف حديث وغيرها...".[٢]

ومثلما التزم الصحابة التزاما شديدا بنقل حروف القرآن الكريم كما تلقّوه من النبي صلى الله عليه وسلم، التزموا كذلك بنقل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والعناية بها، قال الشيخ محمد عجاج الخطيب: (والتزم الصحابة في

١ عبد العزيز العثيم، تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف، دار الهجرة، السعودية، الطعة ٢، ١٩٩٢، ص ٠٧.

٢ عبد المنعم نجم، تدوين السنة ومنزلتها، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثالث، ربيع الأول ١٣٩٩ هـ، ص ٣٦.

الخلافة الراشدة منهاج عمر رضي الله عنه، وأتقنوا أداء الحديث وضبطوا حروفه ومعناه، وكانوا يخشون كثيرا أن يقعوا في الخطأ، لذلك نرى بعضهم مع كثرة تحمّلهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكثر من الرواية في ذلك العهد).[٣]

فالذي تميّز به الصحابة أمران: إتقان أداء الحديث وضبط حروفه ومعانيه، وخشيتهم من الوقوع في الخطأ، وذلك أعلى درجات الاحتياط، إتقان مع خشية، ولهذا نُقل عنهم ما لا يخطر على بال لولا أنه صحّ عنهم، (حتى إن منهم من كان لا يحدّث حديثا في السنَة، ونرى من تأخذه الرعدة ويقشعرّ جلده ويتغيّر لونه ورعا واحتراما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم).[٤]

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علّمهم أن لا يقرؤوا إلا كما عُلّموا، فقد جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِن آخِرِ كَلَامِكَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ علَى الفِطْرَةِ. قالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ بنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ.

فقد حرص الصحابي أن ينقل القصة كما وردت، وكان يستطيع أن ينقل الحديث كما سمعه صحيحا، لكنه أراد أن يعلّم الناس ما تعلّمه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الالتزام بنص الدعاء كما ذكره للصحابي، قال قل: آمَنْتُ بنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، لا كمال ردّد الصحابي: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ.

فحديث النبي صلى الله عليه وسلم محفوظ أُقيمت حروفه وضُبطت ضبطا دقيقا، وكذلك نقله عنهم التابعون فوصلنا محفوظا على هذا الشكل وبهذه اللغة من لغات العرب دون غيرها.

المبحث الثاني: معنى الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات القرآنية.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ووردت في ذلك أحاديث صحيحة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث المشهور: قالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أرْسِلْهُ، اقْرَأْ يا هِشَامُ، فَقَرَأَ عليه القِرَاءَةَ الَّتي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كَذلكَ

٣ محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة ٠٢، ١٩٨٨، ص ٩٢.

٤ محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص ٩٣.

أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قالَ: اقْرَأْ يا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتي أقْرَأَنِي، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كَذلكَ أُنْزِلَتْ؛ إنَّ هذا القُرْآنَ أُنْزِلَ علَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ منه.

حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد.

وفي صحيح مسلم عنه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قالَ: فأتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى حَرْفٍ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى حَرْفَيْنِ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فأيُّما حَرْفٍ قَرَؤُوا عليه فقَدْ أَصَابُوا.

وأخرج مثله على اختلاف في اللفظ النسائي وأبو داود وأحمد وابن جرير.

وقد اختلف العلماء في معناها، وذكر السيوطي رحمه الله في الإتقان اختلافهم في معنى الحديث على أربعين قولا، منها أنها سبع لغات: لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر، وقيل إنها سبعة أصناف: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال[5] وقيل غير ذلك.

وقد ضبطتها على أنها اختلاف العرب في: الإدغام والإظهار، والصلة والإسكان، والتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والمد والقصر، واختلافهم في الهمز، واختلافهم في مخارج الحروف وصفاتها وفرش الكلمات، وهي التي بُنيت بعدها قواعد علم القراءات.

فيدخل في الإدغام والإظهار الإدغام الصغير والكبير، ويدخل في الصلة والإسكان هاء الكناية وميم الجمع والياءات الزوائد وياءات الإضافة، ويدخل في الهمز الحذفُ والإبدال والتسهيل والنقل و غير ذلك مما هو مشهور عند العرب، فضُبط المصحف الإمام على ما يحتمل هذه الحروف السبعة، فكُتبت الألف التي يُحتمل أن تُمال مقصورة، ولو كانت واوية كـ (العلى) و(الضحى)، وكُتبت (بناها) (بنيها)، وكُتبت الكلمات المختلف في فرشها نحو (ملك) و(مالك) بما يحتمل الكلمتين معا، فإن اللغة العربية أوسع من أن تضمّ مفردة واحدة لمعنى واحد، والشريعة تحتاج إلى اختلاف في الفقه والتفسير وغير ذلك، ففي القرآن الكريم (نُنشزها وننشرها) و(النبي والنبيء) و(يطهُرْن ويطّهّرْن) وغير ذلك.

---

[5] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة ١، ٢٠٠٨، ص ١٠٥.

أما الذي اختُلف فيه وضُبط ضبطا دقيقا، فهو اختلافهم في مخارج الحروف وصفاتها، فلا يُكتب (عتى) بل يُكتب (حتى) وكذلك تُنطق، ولا يُكتب (أمْيرٌ) بل (البِرّ) وكذلك تُنطق، ولا يُكتب (التابوه) بل (التابوت) وكذلك تُنطق، فكلّ ما اختُلف فيه في هذا الحرف مما لا يحتمله الرسم كُتب بلغة قريش، وقد كان الخليفة في ذلك صارما، جاء في الصحيح: (إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنتُمْ وزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِن عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بلِسَانِ قُرَيْشٍ، فإنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا)، وأما ما يُحتمل رسمه كُتب بلغة دون أخرى كما فعلوا في (الصراط) فكتبوها بالصاد وقُرئت بالصاد والسين والزاي.

وقد حوى كتاب غرائب القراءات لابن مهران وكتب التفسير والقراءات نوعا من اختلافهم في فرش الكلمات كقراءة (وكان أمامهم ملك) في سورة الكهف بدل " وراءهم " وقراءة (الذي جعل لكم الأرض مهادا) و كذا " بساطا " بدل " فراشا " في سورة البقرة، وقراءة "كلما أضاء لهم مضوا فيه " وكذا " مرّوا فيه " بدل " مشوا فيه " وغير ذلك كثير، وإنما جاء المصحف الإمام لهدف آخر وهو ضبط النصّ القرآني حتى لا يختلف المسلمون في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل فيصير القرآن نسخا لكل صحابي نسخة خاصة به وما يترتّب عن ذلك من خلاف وفتن، فلم يبق من اختلاف في الفرش إلا ما يحتمله الرسم " عند الرحمن " و " عباد الرحمن " أو " سقاية / عمارة " و " سُقاة / عَمَرَة ".

وعلى هذا الأساس تم اختيار القراءات العشر الصحيحة، وصار القرآن الكريم مصدر النحو والعربية بدون منازع، وإنما أنزله الله تعالى ليوحّد لغة العرب وليجعل القرآن الكريم إماما، فمنه تُستنبط القواعد لا العكس، رغم محاولات النحاة الاستشهاد بكثير من شواهد الشعر وغيرها من كلام العرب، فزال ذلك كله وبقيت من لغة العرب تلك اللغة التي حفظها القرآن الكريم بحروفه السبعة.

وقد وصف الدكتور محمد الحباس لغة القرآن بأنها: (كانت في غالبيتها مطردة تصلح لأن تكون أساسا للنحو بخلاف الشعر وكلام العرب ففيه الكثير مما يخالف الشائع).[٦]

ولهذا قال الرافعي رحمه الله: (كانت اللغة العربية مملكة بلا حاكم، حتى جاءها القرآن).

وقد سمعت من الدكتور أمين قادري في أحد دروسه المرئية قوله: (علْم العربية إنما وُضع أصلا لحفظ كتاب الله عز وجل أداء وفهما) وأضاف أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جاء على ذات الطريقة الشائعة المطّردة التي جاء بها القرآن، ففي الاحتجاج بالقرآن على ذلك كفاية) وهذا ما يجعلني أنتقل إلى المبحث الثالث الذي أبيّن

[٦] محمد بن حجر، النحو القرآني بين الحقيقة والخيال، مجلة الممارسات اللغوية، جامع مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، العدد ٣٤، ديسمبر ٢٠١٥، ص ٣٨.

فيه أن لغة الحديث هي اللغة الشائعة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شيوعَ القراءة التي كان يقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده بالمدينة المنورة.

المبحث الثالث: الحروف التي صارت سنة.

رُوي عن الإمام مالك قوله المشهور كما جاء في الكامل للهذلي: (قراءة نافع السنة، أو ربما قال: قراءتنا سنة) وقال صالح بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة نافع، قلت: فإن لم تجد؟ قال: قراءة عاصم.

فالمتأمل لما وصل إلينا من لغة العرب مما نتكلم به وما وصل إلينا من الكتب يُدرك معنى (السنة) في قول مالك، ومعنى الأفضلية في قول أحمد.

فقد كانت قراءة نافع وقراءة عاصم هي الأقرب إلى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهي أفصح اللغات، أي أشهرها، وما سواها من اللغات مما تضمنته القراءات الأخرى ليس بتلك الشهرة، ولهذا انتشرت قراءة نافع وقراءة عاصم في كافة العالم الإسلامي واعتنى الناس بها أكثر من غيرها.

وما نسمّيه اليوم باللغة العربية الفصحى هي أقرب إلى رواية قالون عن نافع من طريقها المشهور بإسكان الميم وفتح ذوات الياء، وهي أقرب أكثر إلى رواية حفص عن عاصم.

فهذه هي السنة والطريقة التي وافقت سنة وطريقة النبي صلى الله عليه سلم وصحابته في الكلام.

ولهذا ذكر مكي حمه الله في الإبانة: (والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية فوجب الاختيار.

وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين.

وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحّها سندا وأفصحها في العربية).[٧]

فقراءتهما أفصح في العربية أي هي القراءة التي كان يقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب، وقد تكون لغة قريش وهي أفصح اللغات، تتميز بإسكان ميم الجمع وفتح ما يُمال وتحقيق الهمز غالبا والتوسط في باب الإدغام والإظهار، أما غيرها من القراءات فتمتاز باحتوائها وجوها أخرى ليست فيها مما تحتمله الأحرف السبعة كالإدغام الكبير والتوسع في باب الإدغام الصغير وكوقف حمزة وهشام على الهمز والسكت قبل الهمز لحمزة والنقل

٧ مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، مصر، ١٩٧٨، ص ٨٩.

لورش وصلة هاء الكناية لابن كثير وأحكام ميم الجمع لحمزة والكسائي ويعقوب والتوسع في باب الإمالة لبعض القراء.

ورواية ورش ليست سنة أهل المدينة، بل تختلف كثيرا عن رواية قالون وإسحاق وإسماعيل عن نافع، بل هي قراءة بذاتها اختارها ورش واحتاج إلى سند عال يُشهرها فانتقل إلى المدينة وقرأ بها على عالم الأوجه والقراءات نافع فوافقه عليها، ولهذا قال علماؤنا في كتاب الدليل الأوفق: (إن ورشا في نظرنا كان بالنسبة لنافع قارئا يعرض على قارئ إن لم نقُل إماما يقرأ بحضرة إمام، فلا هذا يخطئ ولا صاحبه يردّ عليه في شيء مما يقرأ به من حروف القرآن لجودة قراءته وكمال حفظه، ومعنى ذلك أن شخصية ورش في روايته على حال يمكن معها اعتبار هذه الرواية قراءة زكّاها بالعرض على إمام المدينة، وإنما هي رواية عن نافع بهذه التزكية، وإلا فإن فيها من الخصائص — ولا سيما في أصول الأداء — ما ينفرد به ورش عن سائر الرواة عن نافع، بل ربما عن سائر القراء العشرة).[٨]

ثم أضافوا: (فكانت نسبة روايته إليه من جهة الاختيار، ونسبتها إلى نافع من جهة الإقرار، فنالت بذلك الجمع بين الحسنيين بهذا الاعتبار، وهذا ما يميّزها من بين الروايات).

والقول الثاني وهو الأقرب إلى الصواب أنّ نافعا لاحظ براعة ورش فخصّه بحروف ما كان قادرا على أن يخصّ بها أهل المدينة نظرا لاجتماعهم على سنة وطريقة معينة، ولهذا نقل الهذلي عن نافع قوله: (قال نافع لورش: خصصتك بنقل الحركات وهو اختياري بجودة قرأتك وتعهدك لكتاب الله، هؤلاء أهل المدينة وأتباعهم).[٩]

فتأمل عبارة: هؤلاء أهل المدينة وأتباعهم، أي هذه سنتهم، ولا أظن أنهم كانوا ليختاروا غيرها وهي التي أخذوها عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار.

ولهذا نقل الهذلي رحمه الله قول قالون رحمه الله: (ما قرأ نافع آية ولا أقرأها إلا على طهارة، ناهيك من كان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين، والأنصار متوافرون).

وهنا نقف عند قول الأزرق لورش: " يا أبا سعيد إني أحبّ أن تقرئني مقرأ نافع خالصا وتدعني مما استحسنته لنفسك " فورش لما تعمّق في النحو اختار لنفسه مقرأ يسمّى مقرأ ورش.

فدلّ هذا على أن رواية ورش هي مما قرأ ورش على نافع لا اختيار ورش نفسه.

٨ مصطفى البيحياوي ومن معه، الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة ٠١، ٢٠٠٩، ص ٤٢.

٩ الهذلي، الكامل في القراءات، تحقيق عمرو بن عبد الله، دار سما للكتاب، مصر، الطبعة ٠١، ٢٠١٤، الجزء ٠٢، ص ٧٦.

وخلاصة هذا ما ذكره مكي رحمه الله في الإبانة: (ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية روش عنه، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش).[10]

ولهذا رُويت الأحاديث ووصلت إلينا الكتب وقصائد الشعر على هذه الطريقة، لا باللغات الأخرى التي احتملتها مختلف القراءات القرآنية الأخرى.

المبحث الرابع: هل قراءة الحديث بما تحتمله أحد الأحرف السبعة يُعتبر لحنا؟

ذكر الشيخ محمد الخطيب في كتابه (السنة قبل التدوين): " هكذا تشدّد الصحابة في الحديث، وأمسك بعضهم عنه كراهية التحريف أو الزيادة والنقصان في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم).

فشرطهم الأول في رواية الحديث تثبّتهم من مطابقته لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا، دون تحريف أو زيادة أو نقصان، وهكذا وصلتنا الأحاديث فدلّ ذلك على أن اللغة الشائعة المطّردة زمن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت كالتي نتحدث بها اليوم ونكتب، والتي نجدها في المخطوطات والكتب والشعر.

فإذا كان هذا كذلك، هل تُعتبر قراءة الحديث بما تحتمله أحد الأحرف السبعة تحريفا أو زيادة أو نقصانا ؟

وقد فتح الله عليّ وأنا أبحث في هذه المسألة بحديث مشهور في هذا الباب، رُوي بلفظ صريح على ما سميناه العربية الفصحى، ورُوي كذلك محتملا أحد الأحرف السبعة، غير أنه حرف شاذ لا يُقرأ به.

روى البخاري ومسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ.

ورواه أحمد في المسند من حديث كعب بن عاصم الأشعري على وجهين، وجه كحديث جابر: لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصّيامُ فِي السَّفَرِ، ووجه آخر بلغة أهل اليمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس من امْ بِرِّ امْ صيامُ في امْ سَفر).

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير تعليقا على هذا الحديث: (هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميما، ويُحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاطب بها هذا الأشعري كذلك لأنها لغته، ويُحتمل أن يكون هذا نطق بها على ما أَلِف من لغته، فحملها عنه الراوي عنه، وأدّاها باللفظ الذي سمعها به، وهذا الثاني أوْجه عندي والله أعلم).

---

[10] مكي بن أبي طالب، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

فإن كان الاحتمال الأول وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله هكذا، مراعيا لغة السامع من أهل اليمن، فهو دليل على جواز قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم بما تحتمله أحد الأحرف السبعة، وإن كان الأشعري قد نطق بذلك وأدّاها الراوي عنه كذلك، وقد وصلت إلينا بطريق صحيحة فهذا دليل على أن الأمر كان جائزا وإن لم يكن واسعا، فاللغة التي استقرّ الناس على الحديث بها هي لغة قريش، وأما القرآن الكريم فمن خصائصه نزوله على سبعة أحرف وليس للحديث النبوي تلك الخاصية على الدوام، وليس في زمننا هذا من يتحدث العربية بإبدال الهمز وحذفه وضم ميم الجمع والإمالة وغير ذلك، وإنما هي فرضية افترضناها ونحن نعلم أن من الناس من أثّرت فيه القراءات القرآنية فصار لسانه معتادا على مثل ما ذكرنا.

والاحتمال الأول أقرب، فإن الصحابي رواها كما سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم بلغته، ثم رواها على اللغة الشائعة فدلّ ذلك على جواز ذلك.

ومما يدل على أن لغة العرب التي استقرّت وصارت سنة قول الشيخ الألباني رحمه الله في حكمه على الحديث في إرواء الغليل: (لاتفاق جميع الرواة عن الزهري على روايته عنه باللفظ الأول، وكذلك رواه جابر وغيره كما يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم، في جميع الطرق عنهم رضي الله عنهم).[١١]

وقد حكم على هذا الحديث بالشذوذ، قال: (وهذه الزيادة عن سفيان شاذة، بل منكرة).[١٢]

وليس غريبا الحكم على اللفظ بالشذوذ لخروجه عن المألوف ومجانبته اللغة المألوفة، وكذلك حُكم على بعض القراءات بالشذوذ لعدم توفّر شروط القراءة المتواترة فيها، ولكن الحديث بهذا اللفظ صحيح، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: (إسناده صحيح).[١٣]

ثم هل تجوز على هذا الأساس قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم بما تحتمله الأحرف السبعة على ضوابط ما جاء في القراءات العشر فقط أم يجوز على ما جاء في غيرها؟

والصحيح أنّه لابد من تقييد ذلك بما قيّدته الأمة في القراءات العشر المتواترة.

ثم هل تجوز قراءة الحديث النبوي بما تحتمله الأحرف السبعة في: الإدغام والإظهار، والصلة والإسكان، والتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والمد والقصر، واختلافهم في الهمز، واختلافهم في مخارج الحروف وصفاتها وفرش الكلمات أم لا نأخذ بفرش الكلمات، فقد جاء في الحديث الذي ذكرنا عن البراء بن عازب رضي الله عنه: (فإنْ مُتَّ مِن

١١ محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، سوريا، ١٩٧٩، الجزء ٤، ص ٥٩.

١٢ محمد ناصر الدين الألباني، مرجع سابق، ص ٥٨.

١٣ مسند الإمام حمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الجزء ٣٩، ص ٨٤.

لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ علَى الفِطْرَةِ) والميم قُرئت بالضم، وفي القرآن الكريم قراءتان: بضمها وكسرها، قال الشاطبي رحمه الله:

ومتّ ومتنا متّ في ضمّ كسرها صفا نفر وردا وحفص هنا اجتلا

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي في الوافي: (قرأ شعبة وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لفظ (متّم) و (متنا) و (متّ) حيث وقعت هذه الألفاظ في القرآن الكريم بضمّ كسر الميم... وقرا حفص بضمّ الميم في هذه السورة وبكسرها في غيرها، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم في جميع القرآن). [١٤]

وبالضمّ قرأ أبو جعفر ويعقوب وبالكسر خلف في اختياره.[١٥]

فهل يستطيع قارئ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأها بالكسر؟ أم يلتزم بالضمّ؟

والذي أرجو أن يكون صوابا هو جواز قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم بما تحتمله الأحرف السبعة من ضمّ ميم وإسكانها، أو إمالة وفتح أو إبدال همز أو تسهيل، فذلك لا يُخرج الحديث عن صورته ومعناه، أما فرش الكلمات والحروف فلا، إلا حديثا كحديث الأشعري رضي الله عنه، رُوي بلغة غير شائعة فجازت روايته باللغة الشائعة، والله تعالى أعلم.

خاتمة:

هذا الموضوع الذي درسته صعب جدا، والحذر فيه واجب، والخطأ فيه خطير، لكني أرجو أن أكون قد أصبت فيما قدّمتُه، فإن قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم بأحد اللغات التي حفظها القرآن الكريم ليس به بأس إن شاء الله، فلا هو يحرّف المعنى ولا فيه زيادة ولا نقصان، بل هو انتقال من حرف إلى حرف.

نتائج البحث:

– تحريف الأحاديث والزيادة فيها والنقصان عمدا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

– اللغة التي كان العرب المسلمون يتواصلون بها هي ما وصلنا اليوم، وهي أشبه بقراءة عاصم ونافع.

– السنة في قول مالك تعني الطريقة، وهي طريقة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم، ولا يمكن أن يُحفظ القرآن إلا برواية واحدة ابتداء ثم ينتقل الحافظ بعد ذلك إلى العشر، والقراءة السنة التي كان يقرأ بها أهل المدينة ويبدؤون الحفظ بها هي قراءة نافع.

---

١٤ عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، دار السلام، مصر، الطبعة ١٣، ٢٠١٨، ص ١٩٧.

١٥ أحمد بن محمد بن الجزري، شرح طيبة النشر، تحقيق عادل رفاعي، مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤٣٥ هـ، المجلد ٠٢، ص ٨١٣.

- يجوز قراءة حديث النبي صلى الله عليه وسلم بلغة يُحتمل أن تكون من الحروف السبعة بناء على ما ثبت في القراءات العشر، فالقرآن الكريم هو الأساس في تمييز الصحيح من الشاذ، ويجوز ذلك في الأصول ويُمنع في الفرش، لأن الأصول قواعد مطّردة يمكن البناء عليها عكس الفرش.

المصادر والمراجع:

عبد العزيز العثيم، تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف، دار الهجرة، السعودية، الطبعة ٢، ١٩٩٢.

عبد المنعم نجم، تدوين السنة ومنزلتها، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثالث، ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة ٠٢، ١٩٨٨.

جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة ١، ٢٠٠٨.

محمد بن حجر، النحو القرآني بين الحقيقة والخيال، مجلة الممارسات اللغوية، جامع مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، العدد ٣٤، ديسمبر ٢٠١٥.

مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، مصر، ١٩٧٨.

مصطفى البيحياوي ومن معه، الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة ٠١، ٢٠٠٩.

الهذلي، الكامل في القراءات، تحقيق عمرو بن عبد الله، دار سما للكتاب، مصر، الطبعة ٠١، ٢٠١٤، الجزء ٠٢.

محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، سوريا، ١٩٧٩، الجزء ٤.

مسند الإمام حمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الجزء ٣٩.

عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، دار السلام، مصر، الطبعة ١٣، ٢٠١٨.

أحمد بن محمد بن الجزري، شرح طيبة النشر، تحقيق عادل رفاعي، مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤٣٥ هـ، المجلد ٠٢.

فهرس الأبحاث

الاطلاع على مناشط الأكاديمية

زوروا صفحة

https://www.facebook.com/profile.php?id=١٠٠٠٧٦٣٠٩٩٨٤٩٠٥&mibextid=ZbWKwL

تم بحمد الله

الناشر: أكاديمية فيض العلم

منظمو المؤتمر

























